

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ
إِيَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٢٧٣)

في ظلال دلالات التعفف والإلحاف

التفسير:

لقد بين الله هنا خمسة أمور:
أولاً- قال للرسول ﷺ أن هدى الناس
ليس واجبا عليك، وإنما هذا على الله
تعالى. علماً أن للهداية ثلاثة معان:
١. الدلالة إلى الطريق.
٢. الإيصال إلى الطريق.
٣. المصاحبة في الطريق والإيصال إلى
الغاية.

النوع الأول من الهداية يشترك فيه
العباد أيضاً لأنهم يدلون الناس على
الطريق، ولكن نوعي الهداية الآخرتين
فيخصان الله وحده.. ولا يملك أحد
من العباد هذا. ولما كان المراد هنا
من الهداية النوعين الأخيرين: الإيصال
إلى الطريق والإيصال إلى الغاية..
لذلك قال الله تعالى أن الهداية ليست
من واجبك، بل إذا رأى الله أحداً
جديراً بذلك أبقاه على الصراط

(سورة البقرة)



من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد
المصلح الموعود رحمته الله الخليفة الثاني
لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

ثم إن قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ يشير أيضا إلى أن إنفاق المؤمنين - وإن كان يؤدي إلى الرقي القومي المادي والمنافع الدينية أيضا - إلا أن المؤمن من الطراز الأول أسمى من ذلك، فهو لا يفكر في الرقي المادي ولا يجعل نعم الجنة هدفاً له.. بل إنما يعمل الحسنات بدافع أن يرضى الله عنه وينظر إليه بالود والمحبة.

رابعا - قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾. وقد ذكره الله بعد قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وكان من الممكن أن يذكره بعد قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾. لقد أحره لبيان معنى جديد آخر، وهو أن الذي ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله ينال جزاء أوفى على إنفاقه، ولكن الذي ينفق لأجل الدنيا فإنه ينال أجره في هذه الدنيا من رضا الناس ومدحهم، ولكن لا نصيب له من جزاء الآخرة.

وأخيرا، نفى ظلماً آخر يتعلق بالحرب التي تحدثت عنها الآيات السابقة، وقال ﴿وَأَنْتُمْ لَا

القوم يؤدي إلى ازدهار الفرد. الحقيقة أن هذه الفكرة تنشأ عن قلة التدبر.. وإلا فإن الأمم الأوروبية قد أدركت هذه النقطة أيما إدراك. فأثرياؤهم المشهورون بالأخذ بالمتع المادية هم أيضا ينفقون دائما قدرا كبيرا من أموالهم للنهوض بالفقراء ولازدهار قومهم، وهكذا يتسببون في تقوية المسيحية.

وفي قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ بين أن إنفاق الأموال للنهوض بالفقراء مفيد حقا من الناحية القومية.. ولكن لا تجعلوا هذا هو الغاية من الإنفاق، وإنما يتوقع من المسلم أن ينفق أمواله خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته.

وبهذه العبارة مدح الله عباده المؤمنين، إذ جاء بصيغة النفي. والمعنى أننا الآن نتوقع من المؤمنين أنهم لا ينفقون إلا لابتغاء مرضاة الله. وهذا الأسلوب للنفي أشد وقعا وتأثيرا من أسلوب النهي. فمثلا إذا قلت لأحد: أرجو أنك سوف تنتظرنني، فهذا أبلغ من قولك: اجلس هنا ولا تتحرك قبل مجيئي. فهذا الأسلوب اللطيف يدفعه بنفسه للعمل بما تريد.

المستقيم، وإذا لم ير أحدا أهلا لها أسقطه.

ثانيا - قال إن ما تنفقون من خير فهو لأنفسكم، أي لصالحكم أنتم. لقد ذكر هنا كلمة 'خير' لأن الخير يعني المال أو المال الجيد الذي اكتسب بطريق شرعي أو كان بمقدار كاف. فبذكر كلمة 'خير' بين أن الإنفاق ضروري، ولكن من الواجب أيضا أن يكون المال الذي تنفقونه مكتسبا بطريقة شرعية، ويكون بحسب مقدرتكم على الإنفاق. فلا يليق مثلا أن تربح مائة، وتنفق منها واحدا في سبيل الله وتقول أنك قد أذيت حق الإنفاق.

ثالثا - قد يفكر أحدهم ويقول: إذا أنفقت المال على الناس فما الفائدة التي تعود علي؟ يقول الله: هذا التفكير غير سليم. إن ما تنفقه في سبيل الله هو بمثابة حبة يبذرهما الفلاح في حقله، فتتحول إلى مئات الحبات، ولا يفكر الفلاح: لماذا أضيع الحبوب وألقيها في الأرض؟ كذلك لا تظنوا أنكم لو أنفقتم على الآخرين فلن تنتفعوا شيئا. كلا، بل إنفاقكم هذا يؤدي إلى ازدهار القوم، وازدهار

تُظَلْمُونَ... أي أن الأمة التي لا تنفق أموالها عند الحرب تهلك، وتتغلب عليها الأمم الأخرى، وتتعرض للمظالم والاضطهاد. يقول الله تعالى أنكم إذا أنفقتم أموالكم تغلبون ولا تقهركم أمة ولا تظلمكم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٤)

شرح الكلمات:

ضربًا - ضرب في الأرض خرج تاجرا أو غازيا. وضرب: أسرع وذهب (الأقرب).

من التعفف - عفف الرجل: كف عما لا يحل ولا يجمل قولاً أو فعلاً وامتنع (الأقرب). و 'من' هنا سببية كما في قوله تعالى ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُعْرِفُوا﴾ (نوح: ٢٦) أي بسببها.

سيما - الهيئة؛ العلامة (الأقرب). إلحافا - ألحفت السائل: ألح. وألحف

فلاناً الثوب: ألبسه إياه (الأقرب). أسلمت متأخرا، لذلك قررت ألا أترك باب النبي. فكان يقضي حياته في المسجد، وإذا كانت له حاجة قضاها ثم يعود مخافة أن يقول النبي شيئا فيفوته سماعه. ولذلك نجد أنه

التفسير:

هناك مبتدأ محذوف تقديره 'هي للفقراء'.. أي أن الصدقات التي نأمركم بها هي للفقراء للذين أحصروا. أو هناك فعل محذوف تقديره 'اجعلوها للفقراء'. ولم يذكر هنا الفاعل لـ ﴿أَحْصَرُوا﴾، ولم يذكر السبب في حصرهم. ذلك أن الله أراد إطلاقها، لأن للإحصار أكثر من سبب محتمل. ومهما يكن فمن المؤكد أنهم لم يجلسوا عاطلين بسبب الكسل أو البطالة، إنما هم مضطرون لذلك؟ لم يذكر هذا الاضطرار لأنه قد يكون بسبب العدو، أو لأنهم منهمكون في خدمة الدين ليل ونهار، فتسد أمامهم أبواب كسب الرزق والضروريات. مثل أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا لعشقتهم له ورغبتهم في صحبته وشغفهم بتعلم أمور الدين قد شغلوا عن كل شيء آخر. ومثال ذلك سيدنا أبو هريرة الذي أسلم في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أعوام. قال: كنت

أسلمت متأخرا، لذلك قررت ألا أترك باب النبي. فكان يقضي حياته في المسجد، وإذا كانت له حاجة قضاها ثم يعود مخافة أن يقول النبي شيئا فيفوته سماعه. ولذلك نجد أنه - رغم قصر مدة صحبته للنبي - روى من الحديث أكثر مما رواه أي من الصحابة الذين كانت لهم صحبة طويلة أكثر منه أضعافا. شكاه أخوه إلى النبي وقال: يا رسول الله، إن أخي أبا هريرة يبقئ عاطلا كل اليوم، فانصحه ليشغل ويعمل شيئا. فقال النبي: (لعلك تُرزق به).. أي من يدري؟ ربما يرزقك الله بفضل أبي هريرة.*

فيندرج إذن تحت قوله ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أيضا أولئك الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين، وكرسوا أوقاتهم لله ولرسوله، ولا يتمكنون من الاشتغال بالتجارة أو أي عمل آخر. ويندرج أيضا تحته أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ * ورد في الترمذي، أبواب الزهد رواية بهذا المعنى ولكن لم يذكر فيها اسم أبي هريرة.

مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴿التوبة: ١٢٢﴾ ومثال ذلك

ما يحدث هذه الأيام، فإن الناس
يفدون إلى مركز الجماعة الإسلامية
الأحمدية من مختلف الأمصار للتفقه

في الدين، فيتعلمون الدين هنا لسنوات
عديدة، ثم يرجعون إلى بلادهم
ويهدون قومهم. إذن فمن الإحصار

أيضا أن يترك الإنسان أشغال الدنيا
لتعلم الدين. إنه لا يترك أشغال الدنيا
طلبا لراحة نفسه أو تكاسلا عن

واجباته، وإنما يمنعه من الاشتغال بها
خدمته للدين ابتغاء مرضاة الله تعالى.

هؤلاء لا يستطيعون ضربا في الأرض؛
أي أنهم منهمكون كل وقتهم في أمور
الدين، ويولعون بهذا العمل حتى أنهم

لا يهتمون بكسب المعاش. إنهم رغم
قلة مالهم يسكتون ويصنونون أنفسهم
من دناءة السؤال. ولذلك فإن الذين

ليست عندهم عادة الفحص والتأمل
في أحوال الناس فإنهم يظنونونهم
ميسوري الحال. يقول الله تعالى: من

واجبكم أن تهتموا بأنفسكم
بجاراتهم، وأن تنفقوا عليهم نصيبا
من أموالكم.

”... هذه الآية تؤكد أن من الواجب الشخصي للمؤمن أن يدرس
الأحوال فيما حوله بعين فاحصة، ويتنبه إلى من يستحق الإعانة،
ويتعرف على من منعه عزة النفس من السؤال.“

وقد يعني الإحصار أن الناس منعوهم
من كسب المعاش. لأنهم سلكوا
طريقا يؤدي إلى الله تعالى. كما
حدث لكثير من المسلمين الأحمديين
في جماعتنا الذين أبعادوا من وظائفهم
فقط لقبولهم الأحمدية، وأغلقت في
وجوههم أبواب كسب الرزق.

وقوله تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَعْنِيَاءَ مِّنَ التَّعَفُّفِ﴾ يدل على أنهم
لا يمدون أيديهم بالسؤال، وبسبب
تعففهم عن السؤال يظن الجاهل أنهم
لا يحتاجون إلى معونة مادية. وإلا فإن

عزة النفس هي التي طبعت على
شفاهم الصمت مع أنهم أشد
احتياجا من بعض الذين يُسدون
حاجتهم للناس. هؤلاء هم أحق بأن

تقدّم لهم المعونة المالية وتُرفع عنهم
مشاكلهم حتى يقوموا بالخدمة الدينية
قياما أفضل.

لقد رأيت الناس يقولون: إنه لم
يطلبوا إعانة من غيرهم، وإنما
يطلبون إعانة من غيرهم، وهذا
هو معنى العلامة.. فإذا كانت 'سيما'
بمعنى علامة.. فإلى معونة.

وهنا وجه الخطاب إلى النبي ﷺ
لتوجيه نظر المؤمنين إلى أن رسولنا
هذا يتعرف على هؤلاء، ولكنكم لماذا
لا تتعرفون عليهم؟ لماذا لا تنظرون
فيما حولكم بوعي وإدراك؟

ورد في الحديث أن أبا هريرة كان يقول: "الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي أبو القاسم عليه السلام فتبسم حين رأني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: أبا هريرة. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحق، ومضى فتبعته. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت. فوجد لبناً في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك فلان أو فلانة. قال: أبا هريرة. قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي. قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. فسأني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل

الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها.. فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيتهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن. ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله عليه السلام بد. فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح. فأعطيت الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي عليه السلام وقد روي القوم كلهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هريرة، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت. فقال: اشرب، فشربت. فما زال يقول: اشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلماً، قال: فأرني، فأعطيت القدح. فحمد الله وشرب الفضلة" (البخاري، الرقاق).

ألا ما أعظم وأروع هذا الحادث دليلاً على صدق قوله تعالى ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فالآية إذن بيان لميزة النبي عليه السلام بأن رسولنا هذا يعرف المحتاجين بعلاماتهم. فيا معشر المسلمين، حاولوا أن تعرفوهم كما يعرفهم نبيكم. وقوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ لا يعني أنهم يسألون ولكن لا يصرون بل يسألون برفق.. وإنما يعني أنهم لا يسألون الناس إطلاقاً. فكلمة ﴿إِلْحَافًا﴾ ليست تحديداً لأسلوب السؤال، وإنما تبين شناعة السؤال.. أي أنه لا يمكن هؤلاء أن يلحفوا، لأن الإلحاف يتطلب أن يلازم السائل المسئول دائماً، ولكن هؤلاء قد وقفوا بحياتهم لله تعالى، ولا يقبلون أن يلازموا الأثرياء كالظل، بل يخفون فقرهم، فيحرمون أنفسهم مما يجلبه السائل بسؤاله. فكان هذه الجملة جاءت تفسيراً للفعل السؤال وليس تقييداً له. وهذا المعنى ثابت من قول النبي عليه السلام: "ليس المسكين الذي ترده التمرة أو التمرتان، ولا اللقمة أو اللقمتان؛ وإنما المسكين الذي يتعفف".. وقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البخاري، التفسير). هذا هو معنى الإلحاف كما فسره النبي بنفسه.



كذلك ورد في حديث آخر: "ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمررة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس" (البخارى، الزكاة). يتضح من ذلك تماماً أن المساكين نوعان: الأول الذين يسألون الناس، والثاني الذين لا يسألون الناس، وإنما يكسبون رزقهم، ولكن دخلهم ضئيل بحيث يستحقون المعونة. على أية حال، هناك نهي شديد عن السؤال ورد في الأحاديث. لقد أجزى السؤال لثلاثة كما جاء في الحديث عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: "إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقرٍ مُتقع، أو لذي عُرمٍ مُفطع، أو لذي دم موحج" (المشكاة، الزكاة). فالأول الذي لا يجد شيئاً للأكل، أو وصل إلى حال بحيث لا يجد طعاماً بأي سبيل. والثاني: من أُعْرِمَ غرامةً بدون ذنب ولا يستطيع أداءها. والثالث: الذي وقع في قتلٍ خطياً ولا يستطيع أداء الدية. هؤلاء الثلاثة يجوز السؤال.. أو يعني الحديث أن يسأل لهم الآخرون لمساعدتهم، لأن يقوموا هم بسؤال الناس. وكذلك ورد في الحديث أن رجلين جاءا النبي ﷺ سائلين من الصدقة، فصوّب نظره إليهما وقال: "إن شئتما أعطيتكما منها، ولا حظٌ فيها لغني ولا قوي مكتسب" (مسند ابن حنبل، ج ٥ ص ٣٦٢). أي أنه لا حق لصاحب مال أو قادر على الكسب في مال الصدقة. كذلك قال النبي في مناسبة أخرى: "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار. قالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: ما يغديه وما يعشيه". أي ما يكفيه لوجبة الصبح ووجبة العشاء (المرجع السابق ج ٤ ص ١٨١). فقوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ يعني أنهم لا يسألون الآخرين شيئاً، لأن السؤال في حد ذاته إلحاف.

Please put me on the mailing list for Altaqwa for 1 year.

I enclose a subscription payment of £ 18

* Please make Cheques & Postal orders payable to: ASI.Ltd

* We advise you NOT to send cash as means of payment.

Name:..... الاسم:

Address..... العنوان:

Fax No..... رقم الفاكس:

عزيزي القارئ....

إذا أردت الانضمام إلى نادى المشتركين في (التقوى) فاملأ القسيمة وأرسلها إلى العنوان أدناه مع صك بمبلغ ١٨ جنيهاً أسترلينياً أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة. وهي قيمة اشتراكك لسنة.

الرجاء:

* كتابة الحوالات المصرفية والبريدية باسم

A.S.I. Ltd

* عدم إرسال الأوراق النقدية كقيمة اشتراك

The Editor Al Taqwa

P.O.Box 12926 London SW18 4ZN (U.K)

قسيمة اشتراك